عملية التعلم من منظور السنة النبوية

إعداد

د/ علي بن مثيب السبيعي

أستاذ مساعد ـ تخصص أصول التربية ـ كلية التربية والعلوم ـ جامعة الطائف المملكة العربية السعودية

مقدمة:

يشهده العصر الحالي ثورة هائلة في شتى المجالات والمعارف، فلا تكاد تظهر معارف وتقنيات جديدة حتى يتلوها معارف وتقنيات عديدة تحمل معها معارف وعلوم وأساليب حديثة، ولقد اجتاحت هذه الثورة معظم ميادين الحياة وأصبحت الالكترونيات والبرمجيات الحديثة جزءاً من هذه الميادين، ولمسايرة ذلك تحتاج الدول إلى تطوير العلمية التعليمية والتربوية لمواكبة كل جديد ومتطور عن طريق أساليب التعلم، والتي تعتبر مطلبا مهما للنمو المهني.

وإذا كانت هذه سمة العصر الحالي وحركته فلا شك أن زيادة معدلات التغير والتغيير أصبحت أثراً واقعياً لا يجد فريقاً من المعارضين له، ولذا فالجميع الآن يؤمن بمعدلات التسارع في التغير حتى أن السيطرة على كل شيء أصبح أمراً غير ممكن إلى حد كبير في جميع المجالات المادية والمعنوية؛ ولمسايرة ذلك التطور لابد من الرجوع إلى ما جاء به الإسلام من تعاليم ومبادئ فقد أخبرنا الرسول صلي الله عليه وسلم بأنه ترك لنا ما أن تمسكنا به فلن نضل أبداً وهو القرآن الكريم وسنة النبي صلي الله عليه وسلم.

فقد جاء النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى عالم يموج بالجهل والظلام وغياب تام لمعالم التربية، فجاء بتوجيه من ربه بنظام اجتماعي تربوي بنائي عظيم قائم على العلم والتعلم ورفع الجهل وإقرار مكارم الأخلاق (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فأدرك أهمية التربية ودورها الفاعل في بناء الأمم واستمرار الحضارات؛ فوجه أنظار أتباعه إلى أهمية العلم والتعلم وأرشدهم إلى استثمار شتى السبل من أجل كسب العلم؛ بل جعل من أسباب الفدي في المعارك والخروج من الأسر تعليم الأسير لغير متعلم من المسلمين ليكون ذلك ضريبة فك أسره، كما وقع في غزوة بدر الكبرى.

وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يتبع منهج الأسوة الحسنة والقدوة الكريمة في التأثير، فكان المثل الأعلى في التربية والتعليم والتوجيه وجميع شئون الحياة، حتى تعلم منه صحبه الكرام قضاء مصالحهم الدينية والدنيوية اقتداء به وتقليدا له عليه الصلاة والسلام، بل إنهم كانوا يحرصون على متابعته وتقليده حتى في كثير من الأمور منها اللبس والمشى وما شابه ذلك محبة له عليه الصلاة والسلام وحرصا على كسب العلم والمعرفة والاقتداء به، فكانت سيرته وسنته مليئة بالأساليب التعليمية والمبادئ والقيم المهمة في حياة الأمة المتعطشة لتطوير أساليب تعليمها ورفع كفاءة معلميها.

من هنا جاء البحث لمحاولة الاستفادة من سنة النبي- عليه الصلاة والسلام - وربط الأجيال الصاعدة بها وتعزيز موقفهم من سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام واستنباط بعض الأساليب والقيم ومبادئ التعلم الأساسية لبناء تعليم حقيقي قائم على الوحي الإلهي والممارسة النبوية المحمدية.

مشكلة البحث:

لا ينبغي أن يقف الفرد عند حد معين من الكفاءة ولا أن يقنع بما وصل إليه من أدائه لعمله بإخلاص، بل لابد وأن يكون لديه الطموح والدافعية القوية، بحيث يكون على استعداد تام للتكيف مع متطلبات العصر من خلال تفجيره للطاقات الكامنة بداخله، بحيث يصبح الإبداع والتجديد والمرونة هي المحك الأساسي في أداء عمله.

ولذا فقد تغير الدور الذي يقوم به المعلم من منفذ للأعمال الروتينية في حفظ النظام والضبط والربط، ومن ميسر للعمل، إلى قيادي تربوي يقوم بأدوار متعددة تسهم فعليا في تحقيق الأهداف المنشودة كالإشراف وإعادة التأهيل، وإدارة التغيير والتطوير، وإدارة التواصل مع المجتمع، والاستثمار في مهارات المتعلمين وقدراتهم العقلية والجسمية وتشجيعهم على الإبداع،

وفرضت متغيرات العصر على المعلمين العديد من المعوقات التي تعوقهم عن القيام بدورهم في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة للعملية التعليمية.

ومن هنا جاء البحث الحالي للتعرف علي عملية التعلم من منظور السنة النبوية للتوصل إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات لتفعيل عملية التعلم، ويمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

* ما أبرز معالم عملية التعلم كما تعكسها بعض أحاديث السنة النبوية؟

ويتفرع عن ذلك السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما أبرز المبادئ الأساسية للتعلم من منظور بعض أحاديث السنة النبوية؟
٢. ما القيم الأساسية للتعلّم من منظور بعض أحاديث السنّة النبويّة؟
٣. ما أهم أساليب التعلّم الفعال من منظور بعض أحاديث السنة النبوية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف علي ما يلي:

١. أبرز المبادئ الأساسية للتعلم من منظور بعض أحاديث السنة النبوية.
٢. الوقوف علي القيم الأساسية للتعلم من منظور بعض أحاديث السنة النبوية.
٣. التعرف علي أهم أساليب التعلم الفعال في السنة النبوية.
٤. الكشف عن مدى تأثير أساليب التعلم التي استخدمها النبي صلي الله علية وسلم مع الصحابة.
٥. الوقوف على كيفية الاستفادة من الأساليب النبوية في التعلم لمواجهة التغيرات المعاصرة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من الأسباب التالية:

١. يأتي البحث مواكب لاهتمام وزارة التعليم في المملكة بتطوير التعليم لمسايرة التغيرات المعاصرة.
٢. حيوية موضوع البحث، حيث يتناول موضوعاً ينصب على التعلم لكي يقوم بدوره في إعداد الأجيال القادمة على أفضل وجه، وما لهم من دور بارز في تعزيز بناء الاقتصاد الوطني، وإكساب مخرجات العملية التعليمية القدرة على المنافسة الدولية.
٣. أنه يعالج موضوعا مهما وهو التعلم الذي يعد الوسيلة الأساسية للتقدم والتطوير لأي مجتمع.
٤. أنه يوضح ويؤكد كيف كان الرسول صلي الله عليه وسلم حريص علي تعليم المسلمين.
٥. أنه يمد العاملين في العملية التعليمية بأساليب الرسول صلي الله عليه وسلم في تعلم الصحابة، وذلك لمساعدتهم في تعلم الأساليب الحديثة التي تساعد في مواكبة متطلبات العصر الحديث.
٦. أنه يؤكد علي القيم والمبادئ الأساسية للتعلم في السنة النبوية.

منهج البحث:

يعتمد البحث الحالي على المنهج التاريخي، يسانده المنهج الاستنباطي وذلك للتوصل إلى الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم، والمبادئ العلمية والقيم التي حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم - على تربية الصحابة من خلالها بهدف الاستفادة منها في الربط بين الماضي والحاضر، واستشراف المستقبل، والتعرف على كيفية تفعيل أساليب التعلم في المؤسسات التربوية في الوقت الحاضر في ضوء الهدي النبوي، من خلال الاستفادة من الأساليب النبوية في تعليم الناس وتوجيههم.

المبحث الأول: السنة والتربية: (علاقة ومفاهيم):

المحور الأول: مصدرية السنة للتربية الإسلامية:

لما كان عليه الصلاة والسلام لا ينطِق عن الهوى، وأن الأمر إن هو إلا وحيٌ يوحى، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(النجم: ٤)، ولمّا كانت السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أصلاً من أصول الدين؛ فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي المفسرة لما أُجمل في القرآن الكريم ولم يفصّل، فقد اهتمّ الصحابة - رضوان الله عليهم- بحفظ سنة نبيهم، عليه أفضل الصلاة والسلام، وطبقوها سلوكًا ومنهجًا في كلِّ تصرفاتهم، كما حفظوها في صدورهم ونقلوها لمن بعدهم بكل صدق وإخلاص وأمانة.

ومن الضروري - ونحن في عصر قد ابتعد فيه البعض عن سنة نبيهم، وانشغلوا بحديث غير حديثه عليه الصلاة والسلام، وبأقوال غير أقواله، وأهملوا سنته، وخصوصا في المجال التربوي - الاهتمام بالسنة وبالأخصّ في مثل هذا المجال المهمّ الذي تقوم عليه دعائم بناء شخصية المسلم.

أولا: تعريف السنّة:

السنَّة لغةً - كما قال الرازي - الطَّريقة والسيرَة (الرازي، مختار الصِّحاح، د. ت، ٣١٧). وقال ابن منظور: السنة إذا أُطلقت فإنما يراد بها ما أمَر به النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - ونهى عنه وندب إليه قولا أو فعلا ممّا لم ينطق بها الكتاب العزيز (ابن منظور، ١٤١٢، ٢٢٥).

والسنة في الشرع: فمختلف بحسب اختلاف التخصّصات الشرعية، فتعريفها لدى المحدِّثين يختلف عن تعريفها لدى الأصوليين، وتعريفها عند الأصوليين يختلف عن تعريفها عند الفقهاء. وبالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك نجد أن تعريف المحدّثين جاء أشمل؛ فقد ذكر الخطيب في اصطلاح المحدّثين أنها "كلّ ما أُثر عن النبيِّ - عليه الصلاة والسلام - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلُقية، أو سيرة سواءٌ أكان ذلك قبل البعثة كتحنُّثه في غار حراء أم بعدها"، وذكر أيضاً أنه: "إذا أطلق لفظ السنة في الشرع فإنما يراد به: ما أمرَ به الرسول عليه الصلاة والسلام ونهى عنه، وندب إليه قولا وفعلا؛ ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث (الخطيب، ١٤٠٨، ١٩).

أما السنّة في القرآن الكريم: فالقرآن والسنّة قرينان، ولمّا كان القرآن مقطوعاً به، كان لا بد من الرجوع إليه في بيان هذه الحقيقة الكبرى المتعلقة بالسنّة، والمتمثلة بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام. ومن الأدلة على ذلك من القرآن:

١. قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء: ٥٩).

٢. وقوله: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} (النساء: ٨٠).

٣. وقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(الحشر: ٧).

٤. وقوله: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(النساء: ٦٥).

ثانيا: مكانة السنة النبوية في التربية:

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وهي وحي من الله عز وجل كما قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(النجم: ٤) ويجب اتباعها والعمل بما ثبت صحته منها.

"ولقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم، تفسّر مُبهمَه، وتفصّل مجملَه، وتقيِّد مطلقَه، وتخصِّص عامَّه، وتشرح أحكامه وأهدافَه، كما جاءت بأحكام لم ينصَّ عليها القرآن الكريم، تتمشّى مع قواعده، وتحقّق أهدافه وغاياته، فكانت السنّة تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم، تطبيقاً يتَّخذ مظاهر مختلفة، فحيناً يكون عملاً صادراً عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وحينا آخر يكون قولاً يقوله في مناسبة، وحينا ثالثاً يكون تصرُّفا أو قولاً من أصحابه عليه الصلاة والسلام، فيرى العملَ أو يسمعُ القولَ ثم يُقرُّ هذا وذاك، فلا يعترض عليه ولا ينكره، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريراً" (الخطيب، ١٤٠٨، ٤٦).

فإذا تم وتعرفنا على معنى السنة الصحيحة، وتأكد بأنها وحي من عند الله بمعناها لا بلفظها فهي كالقرآن، غير أن القرآن الكريم نزل بلفظه، أما السنة النبوية الصحيحة فبمعناها لا بلفظها، وأنها – أي السنة - مصدر من مصادر التشريع، وأنه يجب العمل بالصحيح منها لزم من ذلك ما يلي: (النحلاوي، ١٣٩٩، ٢٣ وما بعدها) و(الحدري، ١٤١٨، ١٥٤ وما بعدها):

١. أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التربية.

٢. ضرورة "إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم".

٣. "أن السنة النبوية المطهرة ترجمة حقيقية لما يرد في القرآن الكريم من توجيهات؛ إذ كان عليه الصلاة والسلام أعظم الخلق امتثالاً لأمر ربه، فكان عليه الصلاة والسلام قرآنا يمشي على الأرض، تقرأ في سلوكه وأخلاقه ما أدبه الله به في القرآن من الأوامر والنواهي والتوجيهات والتشريعات".

٤. أنها تمثل الجانب التطبيقي العملي المطلوب من المسلمين في العبادات والمعاملات، "أي ما يسمّى التربية بالقُدوة".

٥. أن السنة النبوية تهتمّ بالتربية بجميع أنواعها، فهي تركز على التربية الوقائية ولا تهمل التربية العلاجية وتوضّح كيفية التربية الإنمائية.

٦. أن السنة النبوية من خلال تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه تمدّ الميدان التربوي بجميع الأساليب التربوية والطرائق التعليمة.

٧. أنها توضّح كيف يكون العمل في المؤسسات التربوية.

٨. أنها توضح واجبات المربي المسلم وصفاته.

٩. أنها تمدّنا بآداب المعلّم والمتعلّم، وأخلاقيات مهنة التعليم.

ثالثا: مكانة التربية في السنة النبوية:

لقد تمّ فيما تقدم، توضيح المكانة التي تحتلّها السنة النبوية في التربية، وكيف أنها تعدّ مصدراً من مصادرها الأساسية، كما تبيّن أن التربية تعتمد على السنّة في التطبيقات العملية والأساليب التربوية كاعتمادها على القرآن الكريم في ذلك. وكما أن للسنة أهمية في التربية؛ فإن للتربية أثراً في فهم السنة كذلك، ومن ذلك – مثلا - ما يلي (النحلاوي، ١٣٩٩، ٢٣ وما بعدها) و(الثمالي، ١٤٢٧، ٥ وما بعدها):

١. استنباط الأسلوب التربوي من حياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - مع أصحابه.

٢. أننا حين نتأمّل تربية النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه نجد أنها قامت على أساس من الفهم الصحيح لمفهوم التربية الإسلامية.

٣. أن تربية النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه، وما سلكه من الوسائل والطرق في ذلك هو من أعظم ما يمكن أن يؤثر في البشرية ويحمي الأفراد والشعوب، وهذا سرّ نجاح تربية النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه رضوان الله عليهم، في سائر مجالات حياتهم؛ فقد سلك معهم في التربية والتوجيه ما أيده الوحي.

٤. أن من خلال التربية تعلم الكثير من المسلمين أمر دينهم وذلك من خلال أسلوب القدوة والاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}(الأحزاب: ٢١).

٥. من خلال التربية يمكن للسنة معرفة مراحل النمو وما يتعلق بمسألة التكليف، وسنّ البلوغ، وما يتعلّق بالتربية الصحيّة، والجسمية وما بني عليها من أحكام.

٦. تمَّ تعديل سلوكيات خاطئة عن طريق الاعتماد على التربية العملية كقصة المسيء صلاته.

٧. من خلال التربية يمكن تطبيق مسألة الثواب والعقاب، الذي هو ناتج عن تنفيذ الأوامر وترك المنهيات في السنة النبوية.

٨. من خلال التربية أمكن الاستفادة من ميادين تعليم السنة، وتهيئتها للمتعلمين.

رابعا: بعض واجبات المربّي المسلم تجاه السنة النبوية:

أشار جلّ جلاله، إلى أن أهم وظائف الرسول عليه الصلاة والسلام هو تعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيتهم: أي تنمية نفوسهم وتطهيرها، قال تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}(البقرة: ١٢٩). وهذا مما يؤسّس للمربّي المسلم واجباتٍ خاصةً تجاه سنّة هذا النبي العظيم ومن ذلك - مثلا - ما يلي: (فهمي، ١٤٢٠، ٣٨):

١. الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في سنّته، وتطبيق كلّ ما صحّ من أقواله وأفعاله عمليًا.

٢. التأدّب مع سنة النبي عليه الصلاة والسلام {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(الحجرات: ١).

٣. ربط النشء بالسنة النبوية وذلك عن طريق البحوث وإجراء الدراسات حولها.

٤. استنباط المبادئ والأساليب والوسائل التربوية من السنة النبوية الصحيحة، ومن ثم توضيح كيفية العمل بها.

٥. تطبيق أساليب التعليم النبوي أثناء العملية التعليمية.

٦. خدمة السنة بالدفاع عنها، ومحاولة حفظها والتشجيع على ذلك.

٧. ربط المصطلحات التربوية الحديثة – الإيجابية منها - بهدي النبي عليه الصلاة والسلام في التربية والتعليم.

٨. الضبط العلمي: وهو أن يتقن المربي أمورًا مثل إسناد الأقوال لقائليها وأماكنها أو مظانّها، وبيان درجة الحديث من الصحة أو الضعف، وإتقان لفظ النص وضبط التواريخ والأسماء ونحو ذلك، وقبيحُ بالمربي أن تكثر على لسانه عبارات مثل: (أظنّ أن قائله فلان)، أو (أظنّه صحيحًا)، أو ما في معناه... فإنه إن كان (نصف العلم لا أدري)، و(نصف الجهل: يُقال: وأظن).

خامسا: بعض المبادئ المنهجية الأساسية لتعامل المربين مع السنة النبوية:

ومنها مثلا: (ذيبان، ١٤١٩، ١٣٤):

١. القناعة الذاتية الجازمة أن الصحيح من السنة حجّة ويجب العمل به، وأنها جاءت موافقة للقرآن الكريم، وأنها مصدر من مصادر التربية الإسلامية. وهذه المسألة مع الضرورة المسلمة لمعرفة المسلم بها فإنها قبل كل شيء تعتبر دينًا ندين الله به.

٢. وجوب التثبت من صحة السنّة وصحة نقل الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام.

٣. التأكد لدى الفرد بأنه قد فهم منطوق الحديث بل ويتعدى الأمر ذلك إلى ضرورة الغوص في مفهومه. وذلك وفق دلالات اللغة.

٤. الإلمام بالحديث الواحد قبل الحكم عليه من جميع طرقه، والتأكد من سلامته من المعارَضة.

٥. إمعان النظر والتأمل العميق وسؤال أهل الخبرة عندما الاستنباط من السنة.

٦. الحذر من لي نصوص السنة من أجل خدمة الدراسات الحديثة.

٧. الحذر عند الخوض بالسنة في مجالات الإعجاز العلمي ممّا يؤدي إلى تصادم السنة مع الواقع بسبب ضعف الفهم لدى المتلقّين.

٨. الكشف عن ملامح المنهج العملي الأصيل الذي سلكه النبي عليه الصلاة والسلام، من خلال تعامله مع أصحابه.

المبحث الثاني: بعض أساليب ومبادئ التعلم في السنة النبوية المطهرة:

يكفي بالعلم شرفًا أنه اتصف به المولى جلّ وعلا: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}(الزخرف: ٨٤)، كما أن أوّل آيات نزلت على النبيِّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم - هي آيات العلم، قال تعالى: {اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(العلق: ١- ٥)، وهذا دليل كافٍ وافٍ على أهمية العلم والتعلم؛ فمن أول لحظة لنزول الوحي يذكّر الربّ جلّ وعلا، بأهمية القلم والعلم والتعلّم. وقد حظي العلم والحثُّ عليه وإكرام أهله في الإسلام بمنزلة رفيعة ومكانة عالية لم تكن في غيره من الأديان الأخرى، كما قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(المجادلة: ١١) وكما قال عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (البخاري، ج١، رقم ٢٥، متفق عليه)، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والآثار المروية عن السلف في بيان فضل العلم وأهميته للمسلم وأثره عليه، والتحذير من الجهل وبيان آثاره السلبية على أهله. وقبل الدخول في محاور هذا المبحث يجدر بالباحث العرض السريع لما يلي:

مفهوم العلم:

ذكر الجرجاني للعلم عدة تعريفات كلّ منها يومئ إلى معنى مختلف ومن ذلك: (لجرجاني، ١٤٢٣، ١٢٦):

١. أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.
٢. أنه إدراك الشيء على ما هو عليه.
٣. يؤدي إلى وصول النفس إلى معنى الشيء.
٤. أنه صفة راسخة تدرك بها الكليّات والجزئيات.
٥. وقيل إنه مستغنٍ عن التعريف.

فكثرة هذه التعريفات تدلّ على أهمية المتصف بالعلم وشرفه، كما تدلّ أيضا على شرف من اتصف به ومكانته وعلوه، وهم العلماء؛ يقول تعالى عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(فاطر: ٢٨).

أهمية العلم ومكانة العلماء:

يتضح مما سبق أن للعلم أهمية ومنزلة عظمى في الدين، وفي هذه الجزئية سوف نركز في نقاط سريعة على بعض الأمور التي تبرز أهمية العلم ومكانة العلماء، ومن ذلك:

١. أن المولى جلّ وعلا قد اتصف بالعلم في كتابه العزيز فقال: {قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}(الذاريات: ٣٠).
٢. العلم عبادة عظيمة، وقد أمر الله به وجعله مقدما على العمل فقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}(محمد: ١٩). وقد استدلّ الإمام البخاري بهذه الآية الكريمة على أهمية العلم وكونه سابقاً للعمل؛ بأنَّ الله سبحانه بدأ بالعلم قبل العمل، حيث قال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...}(محمد: ١٩)، ثم قال (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) (البخاري، باب العلم قبل القول والعمل ١-٢٥).
٣. أن أول آيات نزلت من القرآن الكريم بينت أهمية العلم؛ مما يدلّ على العلم وفضل أهله، وأن الله سبحانه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يسأله المزيد منه، بقوله تعالى: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}(طه: ١١٤).
٤. أن العلم يورث الخشية من الله عز وجلّ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(فاطر: ٢٨).
٥. أن العلم يسبب الخيرية: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (البخاري: باب العلم قبل القول والعمل، ٢٥).
٦. أن العلم هو الطريق إلى الجنة: (من سلك طريقًا يطلب فيه علًما سلك الله عزَّ وجلّ به طريقا من طرق الجنة) (أبو داود، ٣٦٤١).
٧. أن العلماء ورثة الأنبياء؛ فهم "لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، وإنما ورَّثُوا العِلْمَ..."). وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء (أبو داود، ٣٦٤١).

بعض آثار العلم النافع في المجال التربوي:

١. العلم يثمر أعظم ثمرة يتمناها كلّ مسلم وهي الخشية من الله سبحانه ومحبته والقرب منه.
٢. العلم النافع يمدّ المربي المسلم بكلّ ما يحتاج إليه في مشواره الحياتي من عبادات وأحكام

ومعاملات وأخلاق وغيرها من الأمور التي لا تتأتى إلا بالعلم.

٣. أن العلم إمام العمل وقائده؛ فعمل لا علم قلب لا فائدة فيه.

٤. العلم منشط للنفس وممتعٌ لها؛ فالعلماء يتعبون ويتحملون المصاعب من أجل تحصيله.

٥. العلم كفارة للذنوب والخطايا، وتطهير للنفوس، وتزكية لها.

المحور الأول: مبادئ أساسية للتعلم في السنة النبوية:

أولا: مبدأ تصحيح النيّة أثناء التعلُّم:

لا شكّ أن الأعمال بالنيات، وأن عملاً لا نية فيه عمل لا فائدة منه، وكما قيل: كم من عمل صغير تكبِّره النيةُ الحسنَة، وكم من عمل كبير تصغّره النية السيّئة. وقد ذكر مسلم في صحيحه ما جاء من حديث الثلاثة الذين تسعَّر بهم النار يوم القيامة، وذكر منهم رجلاً تعلَّم القرآنَ وعلَّمه، وقرأ القرآنَ فأُتي به، فعرَّفه نعمَه، فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيكَ القرآنَ! قال كذبت، ولكنك تعلمتَ ليقالَ: عالم، وقرأتَ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحِب على وجههِ حتى أُلقيَ في النار (أحمد، رقم ٨٢٧٧).

وثمة طرق لتصحيح النيَّة أهمها:

١. مجاهدة النفس على الإخلاص لله والتجرّد له عزّ وجلّ (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)(العنكبوت: ٦٩)

٢. الإخلاص في الطلب لوجه الله والدار الآخرة، وألا يجعل العالِمُ همَّه ونيَّته مباهاة العلماء أو مماراة السفهاء.

٣. التضرع لله عزَّ وجلَّ، والدعاءُ له بأن تكون الأعمال خالصة لوجهه جلَّ وعلا.

٤. استشعار الجزاء المترتِّب على عدم الإخلاص في تعليم العلم.

٥. قراءة سير الصحابة والتابعين وعلماء السلف، ومعرفة كيف كان حالهم مع النيَّة والعلم.

ثانيا: مبدأ احترام المتعلِّم وتقبّله كما هو:

كما ذكرنا من اهتمام الإسلام بالعالم ووجوب احترامه وتوقيره، فكذلك فإن للمتعلم حقَّ التوقير والإكرام والاحترام. ومن حقوق المتعلِّم على المعلِّم:

١. احترامه وإكرامه، وتشجيعه على طلب العلم.

٢. تقبّله كما هو، بخَلقه وخلُقه، كما خلقه الله. وعدم تأنيبه في أموره الشخصية

٣. مراعاة الفروق الفردية بينه وبين أقرانه.

٤. محاولة تعديل سلوكه وأخطائه غير المستحسنة بالتي هي أحسن.

٥. تقبّل وجهات النظر وعدم مصادرتها.

ثالثا: مبدأ الرفق:

فقد جعل الله تعالى نبيه لين الجانب للمؤمنين، رؤوفا رحيمًا بهم. قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}(آل عمران: ١٥٩). ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يتعامل مع طلابه برأفة وشفقة ولطف ولين، وكان النبي عليه الصلاة والسلام أرفق الناس بالمتعلمين وأبعدهم عن التشديد والتعسير والفظاظة والغلظة. وهذا ما نوَّه به القرآن الكريم من أخلاقه عليه الصلاة والسلام في قوله: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(التوبة: ١٢٨). ومن الأمثلة على رفقه صلّى الله عليه وسلّم:

١- الرفق في تعليم الغلام آداب الطعام:

جاء في البخاري عن عمر بن سلمة رضي الله عنهما "كنت غلاماً في حِجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكانت يدي تَطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ياغلام سمِّ اللهَ وكُل بيمينك، وكل ممّا يليك" (البخاري، رقم ٥٣٧٦). ما أرفق النبيَّ في تعليم اليتيم الذي كان في تربيته وتحت نظره!!، فما أحوجنا إلى مثل هذه التربية في واقعنا المعاصر.

٢- الرفق في تعليم مَن بالَ في المسجد:

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" (مسلم، رقم ٢٨٥). إن هذا قمة الرفق مهما كان خطأ المتعلم. فهذا توجيه للمربي المسلم عن الرفق: "فالأصل في التعامل الاجتماعي الرفق واللين ما لم يقم ما يقتضي خلاف لذلك" (الخزندار، ١٤٢٤هـ، ٤٦١). وما دخل الرفق في شيء إلا زانَه، ولا نزع من شيء إلا شانه. ولا بدّ من تدريب النفس على الرفق، "وحسبُ المسلم أن ينظر في هذه الأحاديث النبوية العظيمة التي تحضُّ على الرفق واللين حتى يستمسك بعُرى هذا الخلق العظيم" (السعيد، ١٤٢٤، ١١٣).

رابعا: مبدأ فرضية التعلّم ومكافحة الجهل:

من خلال عملية التعلم يتعرَّف الفرد على الحقوق الواجبة عليه تجاه المسلمين، ويرشده إلى مكارم الأخلاق ومعالي الفضائل ومحاسن الشيم في هذا المجال أحسن الناس خلقاً نبينا عليه الصلاة والسلام الذي أثنى عليه ربه جلَّ وعلا بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(القلم: ٤). وقد سبق وتم تناول أهمية العلم وفرضيته، وفي ثنايا حديثنا عن هذا المبدأ المهم سوف نسلط الضوء على بعض الأمور المتعلّقة به ومن ذلك:

١. فرض الإسلام على المسلمين طلب العلم، ورتّب عليه الأجر العظيم كما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام.

٢. التعليم مجال رحب يتيح للمسلم الاطلاع على التاريخ الإسلامي والنظر في سير الصالحين من العلماء، والمجاهدين، والدعاة، والعباد، وغيرهم، ممَّن بذلوا جهودهم، وأفنوا أعمارهم، وصرفوا أوقاتهم في خدمة هذا الدين ونشره في العالمين.

٣. أن الإسلام قد جعل للعلم آداباً خاصة به، وأخلاقيات للمعلم والمتعلم.

٤. أن جزاء التعلم والتعليم جزاء دنيوي أخرويّ.

٥. التلازم الواجب بين العلم والعمل.

خامسا: مبدأ التدرج في التعلم:

إن العملية التربوية - كما يقول العلماء - ليست عملية تحويل مفاجئ يجري دفعة واحدة، كما أنها ليست خلقًا تامًّا يحدث مرة واحدة، ذلك أن المولى جلّ وعلا قد تدرّج في خلق المخلوقات وهو – سبحانه - الذي إذا أرد شيئا قال له كن فيكون. كما أنَّ "من صفات الله تعالى أنه ربُّ العالمين، أي مربّي العالمين، والتربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله، وقد خلق الله الدنيا في ستة أيام من أيامه تبارك وتعالى، وكان في قدرته أن يخلقها بكلمة كن"

(الميداني، ١٤٢٠، ١٩٦). وهو قول لطيف يشير إلى أهمية مراعاة التدرّج في التعليم، وأن استخدامه من المربي - الذي هو من البشر- أمر تمليه طبيعته بالضرورة في حين أن التدرّج في الصنعة الإلهية كان مشيئة منه فحسب مراعاة لطبيعة مخلوقاته، فسبحانه القادر على كلّ شيء.

سادسا: مبدأ استثارة الدافعية للتعلم:

إن تحريك الدوافع القائم على مبدأ الثواب والعقاب من المبادئ الثابتة في الكتاب والسنة، وهما الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الأوامر والنواهي، وإذا كان للعقاب دور في العملية التعليمية، فإن النصيب الأكبر فيها يكون للثواب بشقيه المادّي والمعنوي، والتربية الإسلامية تعتمد عليه في نجاحها أكثر مما تعتمد على غيره، وقد حرص النبي عليه الصلاة والسلام على تطبيق هذا المبدأ في حياته ومع صحبه الكرام؛ فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يستخدم مثل هذا الأسلوب في تعليمه، ومن ذلك الخبر الذي يرويه هذا الحديث: كان أبو موسى الأشعري حسنَ التلاوة للقرآن، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: "لقد أوتيت مِزماراً من مزاميرِ آل داود" (البخاري). وحسب الأشعري من التشجيع ما رمت إليه عبارة النبي المعلِّم، وهي عبارة تفتح أمام المربين اليوم آفاقاً يمكن تلخيصها في الآتي: (مزامير داود):

١. الإشادة بالمتعلم كلَّما أصاب، والثناء عليه أمام زملائه.
٢. التنويه بالموهوبين وإبراز أعمالهم.
٣. الدعاء للطالب بالتوفيق.
٤. تمكين الطالب من المشاركة في الأعمال القيادية.
٥. منحه الشعارات والأوسمة وشهادات التقدير.
٦. إسناد بعض الأمور المهمّة إليه.
٧. استحسان العمل وتشبيهه بأعمال عظيمة مشهورة.

سابعا: مراعاة الفروق الفردية:

خلق الله سبحانه الخلق جميعهم، ومن رحمته بهم أن نوع في ألوانهم وأشكالهم ومواطنهم وأنسابهم، وكذلك بعدله جل جلاله باين بينهم في قدراتهم واستعداداتهم، فجاء كلّ واحد منهم مختلفا عن الآخر، لا يشابهه ولا يطابقه ، وقد أكَّد الله سبحانه هذا الاختلاف بقوله: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}(الزخرف: ٣٢). "إن وجود الفروق والاختلافات بين الناس أمر فطري، وفيه تأكيد لقدرة الخالق عزّ وجل، وبديع صنعه، ودقيق علمه. فهي إثبات بدهي لحاجة بعض الناس إلى بعض، وعدم إمكان العزلة والاستغناء عن الآخرين، ثم هي بعد ذلك مؤشر على قدرات البشر المتفاوتة على العمل والإنتاج" (رجب، ١٤٣٠، موقع: الجندي المسلم).

ومن الأمثلة النبوية على ذلك ما يلي:

١. ذكر البخاري في صحيحه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قَالَ: "إذا أمّ أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فيهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صلّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ" (رواه البخاري، رقم ٧٠٣).
٢. وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ منازِلَهم" (مسلم) وذكر العلماء بعض الأدلَّة على مراعاة النبي عليه الصلاة والسلام للفروق الفردية ومن ذلك ما يلي:

- اختلاف وصاياه عليه الصلاة والسلام باختلاف الأشخاص الذين طلبوا منه الوصية.

- اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين.
- اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم.
- اختلاف أوامره وتكاليفه باختلاف من يكلّفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم.

ثامنا: مبدأ نشر العلم مقابل التحفّظ العلمي:

بيّنا فيما سبق حث الإسلام على العلم والتعلم، وطلب العلم وفضل العلماء وفضل مكانة العالم على العابد، ثم إن لنشر العلم والانشغال به فوائد في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١. أن يزداد علم العالم وطالب العلم؛ وذلك بسبب بحثه وتدقيقه وتحقيقه واستذكاره للمسائل.
٢. أن يُحفظ العلم؛ إذ لا يكون العلم محفوظا إلا برجاله وهم العلماء القائمون به الناشرون له.
٣. أن نشر العلم وتبصير الناس بأمور دينهم وإرشادهم ودلالتهم على الخير ممّا يؤجر عليه المرء، قال صلّى الله عليهوسلّم: (خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ).
٤. أن نشر العلم وتعليم الناس هو من الأعمال الصالحة التي تبقى للمرء بعد وفاته في نماء وازدياد قال صلّى الله عليهوسلّم: "إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ – وذكر منها - ...أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ" (مسلم، ١٦٣١).
٥. أن العالم أو طالب العلم يحصل على أجور من انتفع بعلمه؛ فكلّما نشر المتعلم وغيره هذا العلم كان للعالم مثل أجورهم من غير أن يُنقص ذلك من أجورهم شيئاً.

كل ما ذكرناه كان من الأهمية بمكان، وهنا لابدّ من التنويه على أنه على المتعلّم ألّا يتحدث بكلّ ما علم؛ فقد يكون في ذلك ضرر على المعلّم وعلى المتعلّم على حدٍّ سواء. فقد ثبت عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: "حفظت من رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم – وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقُطع هذا البلعوم" (رواه البخاري، باب: العلم، رقم: ١٢٠).

وقوله: (وعاءين)، يعني: نوعين من العلم، كأن كل واحد وضع في وعاء، أما أحدهما فبثثته أي: نشرته وأذعته وبلّغته. أما الأول فهو ما بلغه من سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - المشتملة على أحكام الدين من السنن والواجبات والحلال والحرام والعقائد وما أشبه ذلك. وقوله: لو بثثته لقطع هذا البلعوم، يفهم منه أن هذا النوع من العلم لا يضرّ الأمة إذا جهلته، إنما ما يهم من هذه الأخبار ما يتعلّق بما يفعله العبد لا ما لا يفعله، ويجوز للإنسان أن يكتم من العلم ما يخشى على نفسه بنشره، فهو معذور، أو ما تقتضي المصلحة كتمانه عن بعض الناس، مثل ما قال فيه عليه الصلاة والسلام: (لا تبشرهم فيتّكلوا) وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله (البراك، ١٤٣٠، موقع جامع شيخ الإسلام ابن تيمية).

تاسعا: مبدأ التعلّم المستمر:

يقول بكار: "إن الإنسان بطبعه كائن متسائل، وقد زوده الخالق – جلّ وعلا - بقدر من الفضول وحبّ الاستكشاف؛ ممّا يدفعه دائما إلى أن يعرف المزيد... إن روح العصر ومنطقه لم يتركا أمامنا سوى خيار واحد، هو أن نتعلم بلا حدود، ونعلّم بلا حدود، وندرّب بلا حدود إذا ما أردنا للأجيال القادمة ألا تكون خدما للأمم الأخرى" (بكار، ١٤٢٢، ١٣١).

ولم يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالازدياد من شيء إلا من العلم فقال تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه: ١١٤). والزيادة تتطلّب الاستمرار. ولقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة موسى مع الخضر وفيها قوله تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}(الكهف: ٦٦) والاتباع معناه هنا: الاستمرار في طلب العلم. فالحث الوارد في الإسلام

على الاستمرار في طلب العلم يشمل جميع العلوم النافعة ؛ فالإنسان مأجور بإذن الله على كلّ علم يطلبه ويسعى إليه، بشرط أن تكون في نيته خدمة الدين والأمة.

المحور الثاني: قيم التعلّم الأساسية في بعض أحاديث السنّة النبويّة:

أولا: بناء العقلية العلمية المؤمنة:

يعرف العلماء العقلية العلمية بأنها التي لا تقبل نتائج بغير مقدمات، ولا تخضع إلا للحجة والبرهان. ويمكن القول: "إن التبعية في الرأي والسير وراء الآخرين، من مشكلات الجيل المعاصر، وهي تكوّن الأرضية المناسبة لتلقي التأثير الخارجي على الشخص أيّا كان مصدر هذا التأثير. ومن ثمّ فإن عناية المدرس بتربية تلاميذه على روح الاستقلالية في الرأي والتفكير، والتخلص من التلقّي المجرّد ممّا سوى الوحيين يخدم في تنمية الشخصية الناقدة لما يعرض لها، وما يواجهها" (الدويش، ١٤١٩، ١٠٤). وقد جاء في الكتاب والسنة ضوابط ومعالم أساسية تقوم عليها العقلية العلمية، ومن أهمها:

١. ألا تُقبل دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها، فالبينة على المدعي.
٢. رفض الظنّ في أي موضوعات يطلب فيها اليقين الجازم والعلم الواثق.
٣. رفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحيادية والموضوعية.
٤. التحذير من الجمود والتقليد، والتبعية الفكرية للآخرين سواء أكانوا من الآباء والأجداد، أم من السادة والكبراء، أم من العامة والجماهير. وفي القرآن الكريم إنكار شديد على الذين يقولون: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا}(البقرة: ١٧٠)، وقد رد عليهم جلّ وعلا في الآية ذاتها بقوله: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}. وقد اتخذ الإسلام موقفًا أشدّ من الإنكار على القوم القائلين بالاتباع على غير هدى بأن جعل أشدّ العذاب عقوبة لهم، وهذا صريح في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذَابِ السَّعِيرِ}(لقمان: ٢١).

ثانيا: التخطيط الإستراتيجي للتعلّم الناجح:

قال تعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}(الرحمن: ٢٩). يستدلّ بهذه الآية على مسألة الترتيب والتنظيم والإحكام، ومن ذلك قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}(يس: ٤٠).

والتخطيط والتنظيم مهمّ في حياة المسلم عموماً، ويكون ذلك في حياة المربي أكثر أهمية. ومن يستعرض سيرة النبي - عليه الصلاة والسلام - يجدها قائمة على هذا المبدأ العظيم، وكيف كان يعدّ لكل أمر عدته ويهيئ له أسبابه مقدرًا كافة الاحتمالات آخذا بجميع الاحتياطات. ويوجد عشرات النماذج من القرآن والسنة، تحضّ على التخطيط والإعداد المسبق، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}(الإسراء: ٢٩). ونصحه عليه الصلاة والسلام لمن أراد أن يتبرع بماله بقوله: "الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ" (البخاري: ١٢٩٥). ولا يتعارض التخطيط والإعداد المسبق مع مسألة التوكّل على الله؛ لأن التوكّل يأتي مع العمل والإعداد، وحسبنا قوله - عليه الصلاة والسلام - المشهور: "اعقلها وتوكّل".

وعلى المربي المسلم أن يقتدي بالنبي - عليه الصلاة والسلام - في مسألة التخطيط ورسم الأهداف والسعي لتحقيقها؛ فالتخطيط يوفر له الوقت ويختصر له الطريق وتتضح به معالمه مستفيدًا من تجارب الآخرين في كلّ ذلك.

ثالثا: احترام أهل التخصّص:

لما طلب أبو ذرّ - رضي الله عنه - الإمارة من النبي عليه الصلاة والسلام، ضرب الرسول على منكبيه، ثم قال: "يا أبا ذرّ، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزي وندامة، إلّا من أخذَها بحقّها" (مسلم، رقم ١٨٢٥). وقد كان النبيّ متابعا لأصحابه مقدّرا لقدرات كلّ منهم، ففيهم المؤذّن، وفيهم الكاتب، وفيهم الشاعر، وفيهم الرامي، وفيهم العالم بالحلال والحرام، وهكذا. وكان عليه الصلاة والسلام يضع كلّ إنسان منهم فيما يخصّه، ويضعه في الموضع المناسب؛ فتارة يقول لسعد بن وقاص: ارمِ سعد فداك أبي وأمي، وتارة يقول لحسان: اهجهم وروح القدس معك. وقد روى البخاري عن زيد بن ثابت أنه قَالَ: "قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَكْتُبُ إلى قَوْمٍ فَأَخَافُ أَنْ يَزِيدُوا عَلَيَّ أَوْ يَنْقُصُوا؛ فَتَعَلَّمِ السُّرْيَانِيَّةَ"، فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا" (الترمذي، رقم ٢٧١٥). من هذا يتضح جليا مدى اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بمسألة التخصّص في العلم.

رابعا: ترتيب الأولويات في عمليّة التعلّم:

فقه الأولويات هو: علم من العلوم المهمّة ويطلق ويراد به: وضع كلّ شيء في مرتبته، فلا يؤخّر ما حقّه التقديم، أو يقدّم ما حقّه التأخير. وقد حرص النبي - عليه الصلاة والسلام - على تطبيق هذا المبدأ وهذه السنن الربانية وذلك من بداية الدعوة في العهد المكّي، فلم يشرع للمسلمين أن يحملوا فؤوسهم ليحطّموا الأصنام وهم يرونها كلّ يوم حول الكعبة. فالواجب على المربي المسلم الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في ذلك فيضع الشيء المناسب في مكانه المناسب، ويرتب أموره وشؤونه حسب الأهمية فيبدأ بالأهم ثم المهمّ، وهكذا.

خامسا: الالتزام بالأمانة العلمية والنزاهة:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}(المعارج: ٣٢). والأمانة من أخلاقيات المسلم، وهي من لوازم الإيمان كما أنها من صفات عباد الله المؤمنين. وكما أن للأمانة شهرة وارتباطاً بمسألة حفظ المال؛ ولكنها في مسالة العلم أعظم وأهمّ كما يقول بعض العلماء، وحسبنا في تاريخ علم الرواة أمثلة عظيمة على الأمانة في نقل السنة. ومن الأمانة أيضاً العدالة في تزكية الآخرين فلا نعطيهم إلا ما يستحقّون دون زيادة أو نقص، ولو كان لدينا ما نبغض عليه المرء، امتثالاً لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المائدة: ٨). فالواجب على الباحث والمربي المسلم أن يلتزم بالأمانة العلمية ويراعي في ذلك ما يلي:

- التثبت في نقل المعلومة.
- العمل بقاعدة (إن كنت مدّعيا فالدليل وإن كنت ناقلاً فالصحّة) والظاهر أنها قاعدة مبنيّة على قوله تعالى: {... قُلْ هاتوا بُرْهانكُم إن كُنتُم صادِقينَ}(البقرة: ١١١).
- الرجوع عن القول إذا رأى المرء أن هناك قولاً أصوب منه.
- توثيق المعلومة بطريقة صحيحة ومؤكّدة.

سادسًا: الشعور بالمسؤولية العلمية والأخلاقية:

من أهم أخلاقيات طالب العلم والمعلّم الشعور بالمسؤولية ؛ فكلّ منهما مسئول أمام الله عز وجل، ذلك أن العلماء ورثة الأنبياء فعليهم مسؤولية بقدر تلك المكانة. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لن تزولَ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع: وذكر منها (وعن علمه ماذا عمِلَ فيه) (الدارمي: ٥٨٧).

ومن المسؤوليات العلمية التي يتحمّلها المربي المسلم:

- مسألة الإخلاص، فالمتعلّم سوف يسأله عن نيته في طلب العلم.
- المسؤولية عن العلم والحفاظ عليه وصيانته.
- المسؤولية عن تعميق العلم وتحقيقه حتى يرقى.
- العمل بالعلم حتى يثمر وتعمّ به الفائدة.
- عن تبليغ العلم وتعليمه وتوصيله للآخرين. ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام: "بلّغوا عنّي ولو آية".
- عن التأكد من صحّة المعلومة.
- المسؤولية عن الأمانة العلمية.

سابعا: التطبيق العملي للعلم:

من الأخلاقيات التي دعت إليها السنة النبوية الشريفة وربّت عليها أتباعها العمل بمقتضى العلم؛ فقد كان سلفنا الصالح مصاحف تمشي على الأرض، ولقد قالت عائشة عن النبي عليه الصلاة والسلام: "كان خلقه القرآن". ولم تغفل مدرسة النبوة مبدأ التطبيق العملي، والربط بين الجانب اللفظي النظري والجانب العملي، ويتضح هذا الجانب من خلال الممارسات النبوية ومن ذلك أنه صلّى عليه وسلّم وقف يوما أمام أصحابه وقال: "صلّوا كما رأيتموني أصلي" (البخاري: ١-٢١٢)

"ومن هذا المنطلق فإن الأخذ بمبدأ التطبيق العملي للعلم في مؤسساتنا التربوية أقوى في النفس، وأدعى إلى ثبات العلم، واستقراره في قلوب المتعلّمين وفي ذاكرتهم؛ إذ من الخطأ أن يظنّ بعض التربويين أن مجرّد التعليم اللفظي النظري يؤدي إلى تربية الأجيال، ويرتقي بهم إلى الكمال، كما أنه لا يمكن أن يؤدّي إلى نمو خصائص المتعلم المختلفة" (العارفة، ١٤٢٣، ٢٠).

ومن مسألة التطبيق العملي للعلم نستفيد تربويا ما يلي: (المحمود، ١٤٢٤، ٣٥٠):

- أهمية القدوة وقيمتها في الإسلام؛ إذ هي نتاج عن تطبيق العلم بالعمل.
- أهمية دور المربي المسلم في العملية التعليمية.
- الارتباط بين العلم والعلماء؛ فإن ضياع العلم يكون بذهاب العلماء المربين المطبقين لما تعلّموا.

ثامناً: محاربة الأوهام والخرافات"

حارب الإسلام الشعوذة والدجل والخرافة بجميع أنواعها، وعدَّ سؤال العرافين وتصديقهم منافيًا لكمال التوحيد. وهذه الخرافات والأوهام والدجل لها آثار خطيرة وسلبية على المجتمع الذي تنتشر فيه ؛ ولذلك فقد حاربها الإسلام من خلال نشر العلم الحقيقي الموثوق به في المجتمع.

"إن المتتبع لتاريخ المجتمعات الإسلامية يجد أنه كلّما زاد فيها انتشار العلم الشرعي بين الناس وكانت المصادر التي يُتلقى منها العلم موثوقة، كان اتجاه الناس نحو استخدام السحر والشعوذة الخرافة قليلاً.والعكس صحيح، ففي حالة غياب العلم الموثوق به، وضعف تأثيره في النفوس، تجد هذه الأمور مرتعا خصبا للظهور والانتشار" (الحكمي، ١٤٢٧، ١٧).

ومن واجبات المربي المسلم تجاه الخرافة:

- أن يكون المعلم قدوة لطلابه في أفكاره وتصرفاته وسلوكه.

- التحذير من الخرافات، وبيان حكمها وخطرها على الفرد والمجتمع.
- تعميق مسألة الغيب في نفس المتعلّم وأنه لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ.
- تقديم البرامج التوعوية التي تبين للمجتمع هذه الممارسات ومخالفتها للعقيدة الصحيحة.
- تحصين الأبناء بالأذكار الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.
- تفعيل دور المسجد، ودور وسائل الإعلام في مكافحة هذه الخرافات والأوهام وفضحها والتشهير بأهلها.

المحور الثالث: بعض أساليب التعلّم الفعال في السنة النبوية:

أولا: التربية بالقدوة:

بهذه التربية المهمة، أثّر الرسول - عليه الصلاة والسلام - في نفوس الناس. {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا}(الأحزاب: ٢١). وبهذه التربية الجليلة انتشر الإسلام في بقاع الأرض؛ وذلك لأن الإنسان عندما يكون حسن الأخلاق والسجايا، يكثر الثناء عليه، ومن ثمّ يكثر من يحاكيه ويقلده في أفعاله، ويكثر من يتأثر به خصوصاً في مجال التعليم، وإصلاح الناس.

والقدوة ناتج لغريزة التقليد؛ يقول النحلاوي: "إن حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزةٍ تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس، إلى محاكاة سلوك الرجل والقوي والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده إلى اتّباع قائده، واقتفاء أثره" (النحلاوي، ١٩٨٣، ٢٥٨).

والقدوة قد تؤثر بطرائق وأشكال مختلفة "فهنالك التأثير العفوي الذي يعتمد غالبا على التفوّق في العلم، أو الرئاسة، أو الإخلاص (المرجع السابق، ٢٩١).

ثانياً: أسلوب القصص:

التعليم بالقصة، من الأساليب المؤثرة في العملية التعليمية، فكلّما كان القاصّ ذا أسلوب متميّز جذاب استطاع شدّ انتباه المتعلمين والتأثير فيهم، وهو من أكثر الأساليب نجاحاً. ومن الأمثلة عليه من السنة: (قصة الثلاثة الذين حبسوا في الغار)؛ (صحيح البخاري، الحديث ٢١٢٥). فهي كذلك تعليم للموعظة بالقصة.وقد بات معروفاً أنّ القصة من أنجع الأساليب التربوية، وأقدرها على النفاذ والتأثير في المتعلّم، فإذا ما كانت القصّة هادفة أوصلت المتعلّم إلى الهدف القويّ الفعّال من خلال أحداث القصة الشائقة، والشخصيات القصصية، والحبكة القصصية، وما يتخلّلها من حوارات ناجحة على لسان أبطال القصة. وينبغي أن يُحرص ألاّ تكون القصة ذات توجيه مباشر على طريقة" افعل ولا تفعل"؛ لأن الطفل يحب أن يكون هو المتخذ لهذا القرار من داخله لا أن يملى عليه إملاءً، وهذا يتأتى بأن يكون التوجيه القصصي من خلال الشخصيات المحبّبة التي يميل إليها المتعلّم فيتّخذها قدوته بقرار منه.

ثالثاً: أسلوب ضرب الأمثال:

من أساليب التعليم الفعال في السنة النبوية، التربية بضرب المثل الذي يقرِّب المعنى ويعين على الفهم. وقد شاعت هذه الطريقة في أحاديث النبيّ - عليه الصلاة والسلام - إلى درجة كبيرة، فهي تقرّب الفكرة من السامع، وتجعل مشاركته في الموقف أكثر تفاعلاً وإيجابية. ومن ذلك الشاب الذي طلب من الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - الترخيص له بالزنا، فإنّ طريقة التمثيل التي سلكها النبي في إقناع الشابّ بسوء ما هو مقدم عليه، كان لها دورٌ في تغيير قناعات الشابّ، وذلك بعد أن قال له الرسول: "أتحبّ هذا لأمك" و"أفتحبّه لأختك"؟ (أحمد برقم

٢١٧٠٨)، فعن طريق هذا الاستفهام التقريري تمّ الإقناع بالمراد، وواضحٌ هنا الأثر البارز لأسلوب التمثيل.

رابعاً: أسلوب المحاولة والخطأ:

يعتمد هذا الأسلوب على التجربة الذاتية مدعمة بملاحظة المربي ومتابعته للمتعلمين، مع ترك الحرية لهم بمحاولة تعديل السلوك واكتشاف مكامن الخطأ.

والسنة النبوية حافلة بمثل هذا الأسلوب، ومن ذلك: حديث المسيء لصلاته فقد قال له النبي: "ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ.." (البخاري، ٦٢٥١). ومن ذلك نستفيد ما يلي: (المنجد، ١٤١٧، ص٦٣):

- من صفة المربي أن يكون حاذقا وفطناً لأفعال من يربيهم.
- أن من الحكمة في التعليم طلب إعادة الفعل من المخطئ لعله ينتبه إلى خطئه فيصحّحه بنفسه، وخصوصاً إذا كان الخطأ ظاهراً لا ينبغي أن يحدث منه، وربما يكون ناسيا فيتذكّر
- أن المخطئ إذا لم يتنبّه إلى خطئه وجب البيان والتفصيل من المربّي.
- أن إعطاء المعلومة للشخص إذا اهتم بمعرفتها وسأل عنها وتعلقت بها نفسه أوقع أثرا في حسه وأحفظ في ذهنه من إعطائه إياها ابتداء دون سؤال ولا تشوّق.

خامساً: أسلوب العصف الذهني:

هو الأسلوب الذاتي القائم على التفكير العميق للأفراد أو الجماعات، للوصول إلى حلّ أو عدة حلول لقضية من القضايا. وقد استخدمه النبي - عليه الصلاة والسلام - في التعليم؛ فقد كان يغتنم فرصة الراحة لتنشيط أذهان أصحابه وتمرينها، ومن ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام سأل أصحابه يوما: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المؤمن، حدثوني ما هي؟" قال ابن عمر – راوي الحديث - ووقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة. فجعلت أريد أن أقولها. فإذا أسنانُ القوم، فأهابُ أن أتكلَّم. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة" (البخاري، ح٦٢ج١، ٤٦) وأسنان القوم: كِبار الصحابة.

سادسًا: التربية بالترغيب والترهيب:

الترهيب والترغيب من العوامل الأساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الاجتماعية. قال النحلاوي: "بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير" (النحلاوي، مرجع سابق، ٢٨٦).

فأما الترغيب: فيمثل بنوعيه المعنوي والمادّي دورًا مهمًا وضروريًا في المرحلة الأولى من حياة المتعلمين؛ لأن الأعمال التي يقوم بها لأول مرة عادةً ما تكون شاقّة وتحتاج إلى حافز يدفع المتعلم إلى القيام بها، كما أن الترغيب يكوّن عاداتٍ وسلوكياتٍ تستمرّ مع المتعلّم ثمّ يصعب عليه تركها. وكان النبي يستفيد من كثير من الأحداث ليؤدّي رسالة التبليغ القائمة على الترغيب والترهيب، فكان لا يدَع مناسبة تعرض له، يستطيع منها الولوج إلى ترغيب أو ترهيب إلا وأفاد منها. فمن أمثلة ترغيبه: ما أخبر به النبي صحابته من صيرورة سعد بن معاذ إلى الجنّة، وخبر ذلك قد ورد في صحيح مسلم "... عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ!! لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ..." (مسلم، ١٤١٨، رقم ٢٤٦٨). وقد أفاد النبي عليه الصلاة

والسلام من أسلوب الترغيب بذكر الفرق الكبير بين حرير الدنيا الفانية، وحرير الآخرة الباقية، وغرس الحرص لدى المؤمنين على أن يحصل لهم ما حصل عليه سعد من تكريم ربّه.

وأما الترهيب: فإن الدعوة المحمّدية مبنية على التبشير والتحذير ولكل منهما أسلوبه المناسب في التعامل من الترغيب والترهيب {... لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً}(الكهف: ٢)، حتى إن القرآن الكريم اعتمدهما وظيفة أولى للرسول المرسل: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}(البقرة: ١١٩). وقد تعدّدت مواقف الترهيب في السنة النبوية ومنها قصة الرجل المسلم الذي كان يقاتل مع المسلمين، وأخبر النبي عن أنه من أهل النار، مع أنه كان شديد البلاء في الكافرين! وفي ذلك تخويف للصحابة وترهيب لهم من سوء العاقبة لمن يَقتل نفسه، وقد تحيّن النبي أفضل الأوقات لهذا التخويف والترهيب، ليكون معتمداً على مثال حيّ حاضر، فالرجل أمامهم يقاتل، والنبي يقول:" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إلى هَذَا، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا" (البخاري، حديث: ٢١٦٨). ويُلحظ في آخر الحديث كيف وقع الترهيب في العبارة النبوية التي تُلمح إلى وجوب المواظبة على الطاعات، وعدم الاطمئنان للحظة الحاضرة، وهكذا يبقي المسلم في خوفٍ دائم من سوء العاقبة، وقلبه معلّق بين الخوف والرجاء. وهذا هو الهدف من الترغيب والترهيب في الإسلام، ودليل ذلك قوله تعالى عن الأنبياء الكرام عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}(الأنبياء: ٩٠).

سابعاً: أسلوب الإقناع المنطقي:

من أساليب التعليم الفعال في السنة النبوية، أسلوب الإقناع المنطقي الذي استخدمه النبي عليه الصلاة والسلام مع تلاميذه، ففي قصة حاطب يتضح جليا الحوار الإقناعي وذلك مع عمر بن الخطاب، عندما ثار حسّه الحاسم، وإيمانه الجازم فقال: (إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه) (البخاري، ٣٥٣٩). فعندما أراد عمر، أن يضرب عنق حاطب وثارت ثائرته قام الرسول بإقناعه بحوار هادئ، ذرفت بعده عينا عمر فقال: "أليس من أهل بدر؟ فقال: لعلّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو قد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم. ومن الفوائد التربوية في هذا الجانب الإقناعي:

- أن الحوار الإقناعي يقوم على سؤال المتعلّم أو المخاطب عمّا يعرفه بالحسّ أو البداهة، ثم يبني السائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر؛ فنجد النبيَّ يسأل عمر بن الخطاب، عن معلومة لديه فيقول: (أليس من أهل بدر؟).
- هذا النوع من الحوار يبدأ بالتدريج لكي تتم عملية الإقناع خطوة فخطوة، ولكي يزول الإشكال بعد ذلك تماماً. ولعلّ السؤال المنطقي الذي صدَّر به الرسول عليه الصلاة والسلام بيان فضل الصلوات الخمس في محو الخطايا أوضح شاهد على هذا الحوار المقنع المنطقي، وذلك في الحديث: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا" (البخاري، ٥٢٨).

النتائج والتوصيات:

حاول هذا البحث أن يستقرئ العلاقة التبادلية بين التربية والسنة النبوية، بعد أن مهّد بالتعريفات التي يتطلبها البحث، ثم أوضح العلاقة الوطيدة بين السنة والقرآن الكريم من حيث إنها

التطبيق العملي للقرآن من جهة، ومن حيث إن القرآن الكريم مؤصّل للسنة ومعترف بها وداع إلى اتباعها من جهة ثانية. ثم انطلق البحث ليسلّط الضوء على محاور ثلاثة رئيسة في عملية التعلّم التربوي هي مبادئ التعلم في السنة النبوية وقيمه وأساليبه. ومع أن موضوعات البحث متداولة بصفة عامّة، غير أن الباحث يعتقد أن البحث قد سلط أضواء قوية مؤثرة على جوانب تربوية في السيرة النبوية نذكر من أبرزها:

- أمكن استخلاص مجموعة حسنة من القيم والمبادئ والأساليب المناسبة لعملية التعلم.
- ثبت لدى الباحث أن السنة النبوية غنية بالأساليب التعليمية المناسبة لكل عصر.
- أبرز البحث على نحو واضح كيف أن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان ينوّع في استخدام الأساليب للتأثير في المتعلم.
- اشتمال السنة النبوية على أنواع التربية كالتربية الوقائية والعلاجية والإنمائية واتجاهاتها المتعددة
- سبق السنة النبوية للتربيات المعاصرة التي تنادي بضرورة مراعاة الفروق الفردية، وتحريك الدافعية في عمليات التعليم.

توصيات البحث:

يوصي البحث بما يلي:

- أهمية ربط النشء بالسنة النبوية وذلك عن طريق البحوث وإجراء الدراسات حولها.
- وجوب تطبيق أساليب التعليم النبوي في أثناء العملية التعليمية.
- أن تكون التربية الإسلامية محور الدارسات التنافسية للمعلمين.
- أن تُجري وزارة التعليم للمعلمين مسابقة في السنة النبوية تركز في موضوعها على تلمس القيم التربوية في السنة النبوية قولاً وفعلاً وتوجيهاً...وهذه الوسيلة خير للمعلم من تزويده بتعليمات ينبغي اتباعها؛ ذلك أن كلّ ما يتوصل إليه المعلم بنفسه له أكبر الأثر في ثقافته واتجاهاته التعليمية.
- أن يتسلح الموجهون التربويون بحصيلة كافية من المبادئ والقيم والأساليب التي ينبغي أن تصاحب عملية التعلّم والتعليم لتذكير المعلمين به في أثناء زياراتهم الميدانية.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. ابن منظور، محمد مكرّم بن علي، (د.ت): لسان العرب، دار إحياء التراث.
٣. الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤١٥): السلسلة الصحية، ج١١، مكتبة المعارف للنشر، الرياض.
٤. الباشا، عبدالرحمن رأفت، (١٤١٨): صور من حياة الصحابة، دار الأدب، مصر.
٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٥): صحيح البخاري، مكتبة الثقافة، القاهرة.
٦. الثمالي، يحيى بن عبدالله، (١٤٢٧): صور من التربية النبوية، مكتبة الفرقان، مكة.
٧. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (١٣٢١): جامع الترمذي، دار الحديث، مصر.

٨. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (١٤٢٣): التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩. الحدري، خليل بن عبدالله، (١٤٢٥هـ): منهجية التفكير العلمي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
١٠. الحدري، خليل بن عبدالله، (١٤١٨): التربية الوقائية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
١١. الخطيب، محمد عجاج، (١٤٠٨): أصول الحديث، دار المعارف، دمشق.
١٢. الرازي، محمد بن أبي بكر، (د.ت): مختار الصحاح، دار بن كثير، دمشق.
١٣. النحلاوي، عبدالرحمن، (١٣٩٩): أصول التربية، دار الفكر، دمشق.
١٤. الشربيني، عماد، (١٤٢١): من هدي النبي في التربية، مجلة البيان، العدد(١٤٤).
١٥. السعيد، خميس، (١٤٢٤): هكذا علمنا النبي، المكتب التعاوني، بأحد رفيدة.
١٦. الخزن دار، محمود محمد (١٤٢٤)، هذه أخلاقنا، دار طيبة، الرياض.
١٧. المحمود، عبدالرحمن بن صالح (١٤٢٤): قضايا منهجية ودعوية، دار الفضيلة الرياض.
١٨. الميداني، عبدالرحمن حسن (١٤٢٠): الأخلاق الإسلامية، دار القلم، دمشق.
١٩. الحكمي، علي بن صديق، (١٤٢٧): ظاهرة السحر والشعوذة، مركز البحوث، الرياض.
٢٠. الدويش، محمد بن عبدالله، (١٤١٩): المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن، الرياض.
٢١. الدويش، محمد بن عبدالله، (١٤٢٣): تربية الشباب، مدار الوطن، الرياض.
٢٢. العارفة، عبداللطيف بن عبدالله، (١٤٢٣): التطبيقات العملية، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
٢٣. المنجد، محمد صالح، (١٤١٧): أساليب النبي في التعامل مع أخطاء الناس، دار الوطن، الرياض.
٢٤. بكار، عبدالكريم، (١٤٢٢): التربية والتعليم، دار القلم، دمشق.
٢٥. رجب، مصطفى رجب، (١٤٣٠): الفروق الفردية في ميزان التربية الإسلامية، موقع: الجندي المسلم.
٢٦. مسلم، مسلم بن الحجاج، (١٤١٣): صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٧. ذيبان، شافع، (١٤١٩): ملامح المنهج العلمي في هدي النبي، مجلة الشريعة، العدد٣٧، الكويت.
٢٨. فهمي، أحمد، (١٤٢٠): كيف نتعامل مع السنة، مجلة البيان العدد(١٤٤).
٢٩. مطاوع، إبراهيم عصمت، (١٤٠٢): أصول التربية، دار الشروق، جده.